مكانة العقل في الإبستيمولوجيا العلائيّة

Status of Mind in the Alaaian Epistemology

د.صلاح الدّين حملاوي
جامعة: محمد خيضر-بسكرة-
salaheddine.hamlaoui@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021/09/25 تاريخ القبول:2021/.12/22

الملخّص:

فَرَضَ أبو العلاء المعرّي نَفْسَهُ كعقْلٍ عظيمٍ يعْملُ في الفكْر العربيّ وَ العالميّ عملَ المراجعةِ والتّفكيكِ وَ الهدْم وَ البناءِ؛ مُنْتقلاً من المقارنةِ ثمَّ الحِجاجِ إلى الإقناعِ.

وَتروم هذه الصّحُفُ القلائلُ دراسةَ فِكرِهِ كمشْروعٍ مستقبليٍّ نطمحُ تجسيدَهُ في عصْرنا، كذلكَ بيانَ مَنْزلةِ العقلِ عندَهُ؛ واستنطاق خطاباتهِ –خاصَّةً اللّزوميات- التي يَرَى منْ خِلالها القارئُ إشادةً كبيرةً بالعقْل وَ اعترافًا بقوّةِ سُلْطانهِ؛ فبِهِ يَعْرِفُ المعرّي الحقَّ منَ الباطلِ؛ و المقدّسَ من المدنّسِ؛ و به يُميّزُ الغَثَّ من السّمينِ؛ لذلك اعتمده أصلاً أوّلَ للمعرفةِ، و كان إيمانهُ به قويًّا في قُدرتهِ على التوصّلِ إلى الحقائقِ وَ حَلِّ المشاكلِ، فهو عندهُ الهادي و المُشيرُ وَ النَّبيُّ وَ الإمامُ.

الكلمات المفتاحية: الإبستيمولوجيا، الفكر، العقل، أبو العلاء المعرّي، اللّزوميّات.

ABSTRACT :

Abu Alaae Al-Mari imposed himself as a great mind works in arabic and international thought, the work of reviewing, demolishing and building, moving from comparison then argumentation to persuasion.

These few papers aim to study his thought as a future project. We aspire to embody it in our time, as well as clarifying the status of mind for him, and interrogating his discourses , especially the necessities, through which the reader sees great praise for the mind and an acknoledgment of the strength of his power. In it Al-Mari knows the truth from falsehood and the sacred from the profane, and by it he distinguishes the wretched from the good. Therefore, he adopted it as a first source of knowledge and his belief in it was strong in its ability to reach facts and solve problems. According to him, it is the guide, the counsellor, the imam, and the prophet.

Key Words : Epistemology, thought, mind, Abu Ala Al-Mari, necessities.

مقدّمة:

مثّل أبو العلاء المعرّي الذّهن العربيّ في فِكْره وَ في نظْرته إلى قضايا الدّين وَ الدّنيا دون سائر المفكّرين من الشّعراء، وقد اتّخذ من عقْله هاديًا لا شريك له في عالم الواقعيّة، فراح يتتبّع القضايا الفكريّة والإنسانيّة برؤية عقليّة خالصة؛ محاولاً إيجاد حلولٍ وَالقيام بإصلاحات في كلّ المجالات، وقد كان تُراثه الأدبيّ والفكريّ مخزونًا عظيمًا لذلك؛ بالرّغم من جرأة الآراء التي أثارها فيه؛ و بغضّ النّظر عن الفرضيّات التي وضعها و الإشكاليّات التي انطلق منها؛ كما لم يمثّل هذا التّراث قطيعة ابستمولوجيّة بين الماضي و الحاضر؛ بل كان مواصلة نقديّة و تنويريّة تحترم الماضي و لا تقدّسه.

والمعرّي في اعتماده على العقل كان يروم الحقيقةَ المطلقةَ من غير زيفٍ ولا شوائب؛ ويهدف إلى تنوير العقول الإنسانيّة العربيّة والإسلاميّة من الأباطيل والخرافات، وهو صاحب الذّكاء الحادّ، والحسّ المرهف، والثّقافة الفلسفيّة العميقة، ولعلّ إلحاحه الشّديد على عقله في عمليّة الإصلاح مقترن بما آل إليه المجتمع في عصره من تفسّخ اجتماعيّ وانحلال خلقيّ؛ فضلاً عمّا أحاط به من فساد في شتّى المجالات، لذلك راح ينتقده ويعبّر عن رفضه لكلّ المظاهر البشعة الموجودة فيه؛ فقد فشا الجهل، واختلطت القِيم واضْطربت المقاييس، وسيْطر الضّلال في الأمّة، فطبيعيّ أن يدعوَ النّاسَ إلى الاهتداء بالعقل، و يؤكّد على ضرورة الائْتمام به والاحْتكام بحُكْمه. وإن كان البعض قد رأى أنّ حكيم المعرّة قد أهلك نفسه حين اتّخذَ عقله حاكمًا؛ فأركبه مراكب تجري في بحر متلاطم الأمواج؛ جلب له الحيرة و الشّكّ في كلّ شيء؛ ما أدّى إلى رؤية سوداويّة للحياة، فقد رأى آخرون أنّ شعره وليد العقليّة العظيمة، و رأوا فيه خير شعراء العربيّة الذين صوّروا حياتهم العقليّة والعاطفيّة تصويرًا حقيقيًّا .

أهمّية الدّراسة:

- تنبع أهمية هذه الدّراسة في كوْنها تسْعى للكشْف عن مكانة العقْل في الإبستيمولوجيا العلائيّة؛ ودوره البارز في بلورة فكره و تحديد موْقفه .
- دراسة فِكرِ المعرّي التّنويريّ و النّهضويّ؛ حيث أدْرك ما سنُعانيه في وقتنا الرّاهن.

أهداف الدّراسة:

- بيان مفهوم العقْل عند المعرّي و مكانته و ذلك من خلال مجموعة من النّماذج الشّعريّة.

إشكاليّة الدّراسة: ممّا تقدّم نجد أنفسنا أمام إشكاليّة مفادها:

- **بمَ تُدرك المعرفة عند المعرّي؟** ما مفهوم العقل عنده ؟ ما هي منزلته؟ هل كان إيمانه به قطعيًّا ؟ ما موقفه من النّقل؟

أوّلاً: أبو العلاء و أصول المعرفة لديه:(سلطان العقْل بوصْفه هاديًا وَ إمامًا):

تركت العلوم وَ المعارف وَ الفلسفات وَ العقائد الدّينيّة وَالأفكار أثرها في النّاحية العقليّة للشّخصيّة المثقّفة في العصْر العبّاسي -خاصّة النّاحية المعرفيّة الفكريّة-، حيث كثر الجدل حول أصول المعرفة الانسانيّة، ومصادرها ومرجعيّاتها. فهل معرفة الإنسان قد جاءته عن طريق الخبرات الحسّية؟ أو أنّ العقل الإنسانيّ مجهّز بقدرات معيّنة؛ تعمل مستقلّة عن الأجهزة الحسّية، بحيث إذا تصرّف العقل فقط حسب هذه القدرات أمْكنَهُ أن يصل إلى معرفة صحيحة عن طبيعة الأشياء لا تدخل فيها الخبرة الحسّية؟ (1). و قد شكّل ظهور أبو العلاء المعرّي في هذه الفترة ثورة فكريّة وَعقلانيّة، لتعميقه منهج العقل في بيئة تُقيم علومها وشرائعها وَ سلوكها على النّقل، فعابَ كلّ ما يقاس بمقاييس التّراث الإنسانيّ ؛ و أخْضعه لقياس العقْل.

وإذا نظرنا إلى رؤية المعرّي في العقل ودوره في المعرفة، "لوجدنا أنّ سمة العقلانيّة هي السّمة الغالبة، فهو لم يتأمّل موضوعاته قدر ما تأمّلها من نوافذ عقله، فنجح العقل حينًا وأخفق حينًا، وأحيانًا كان يصل إلى الحيرة، ولكنّ الحقيقة التي لم يدركها هي أنّ الكثير من الظواهر الكونيّة والحقائق تتّسم بالنسبيّة، وأنّ أغلب تلك الحقائق هي حقائق غير معقولة، بمعنى أشمل وأعمق من أن تدخل في دائرة الإدراك العقليّ المجرّد والمحدود، إذ أنّ تمام المعرفة بها منوط في الأساس بغير العقل من قوى الإنسان، وقد يكون الإيمان والصّدق والكشف الرّوحي أعظم وسائط الإنسان للتحقّق من تلك المعرفة"(2) . فهذا الحكيم قد عرض على فكره كلّ أصل من أصول الحكمة وكلّ مذاهب الدّين، فلم يقبل منها إلاّ ما ارتضاه لرهانه، ولم يتّخذ له إمامًا غير العقل في صحبته و مسائله.

ويحدّثنا أبو العلاء عن مصادر المعرفة لديه فيقول: " يُدرك العلم بثلاثة أشياء: بالقياس الثّابت، والعيان المدْركِ، والخبرِ المتواترِ " (3)، وَ لكنَّ (العيان المدرك)؛ أي التّجربة والمشاهدة لم يكن له نصيب مباشر فيها؛ لعاهة العمى لديه، وله إزاء (الخبر المتواتر) تحفّظ حيث يقول :

والعَقْلُ يَعْجَبُ والشّرائعُ كُلُّها خَبَرٌ يُقَلَّدُ لم يقسْهُ قائسُ(4)

فلم يبقَ إلاّ العقْل اتّخذه إماماً . يقول في الفصول وَ الغايات: " العقل نبيء، والخاطر خبيءٌ ، والنّظر ربيءٌ، وَ نورُ الله لهذه الثّلاثة معين "(5).

إنّ هذا الوعْي الشموليّ بترابط أركان المعرفة جعله يختبر العقل و يؤمّل من كلّ اختبار بلوغ يقين جديد أو دحْض مقولة خرافيّة أو تكذيب خبر يناقض المنطق؛ ما جعل نزعة العقل عنده تكتسب تميّزًا من صدْقِ مُنطلقاتها، لأنّ الدّعوة إلى العقْل ارتبطتْ بشخصيّة الرّجل ولوّنت مُجْمل حياته، وكانت محور نصوصه الكثيرة، لذلك كانت مسألة العقل عند مفكّرنا تحدّيًا يُمارس في الحياة الفرديّة؛ قبل التّنظير له ونشْره عند الآخرين، و لعلّ هذا التحدّي هو الذي جعل من حياته بكلّ أنفاسها مواقف متراكمة تنْتصر للعقْل، وتضحّي في سبيله، لأنّ العقْل عنده احتلّ مرتبة الإيمان .

ويجدر التّأكيد أنّ إيمان أبي العلاء بالعقل جعله يرفض الحدود الممكنة له، وقد عدّ بعض النقّاد ذلك من عيوب هذا المفكّر الذي اعتقد أنّ العقل ليس شيئا إنسانيّا إنّما هو جوهر ممتاز، لن يعجز على أن يرتقي

إلى السّماء بلا سلّم(6)."**فهو إذا ما بيّن أهمّية العقل، لا يبحث عن نشأته في الإنسان، ولا عن مصيره بعد الموت**"(7) .

ومن الطّبيعي في ضوء الأهمّية التي يوليها شاعرنا إلى العقل، والدّور المحوري الذي يربطه به، أن يدعوَ إلى الحفاظ عليه من كلّ ما يمكن أن يذهبَ بقدراته، يقول:

خُذوا في سبيلِ العَقْلِ تُهدَوْا بِهديهِ ولا تَرْجُوْنَ غَير المُهيمنِ راجِ
ولا تطفِئوا نورَ المليك، فإنَّهُ مُمَتّعُ كلٍّ مِنْ حِجىً بِسراج(8)

والمعرّي يعتبر العقل أثمن هبة وهبها الله تعالى للإنسان:

وَالعقْلُ أنفسُ ما حُبيتَ وإن يُضَعْ يومًا يضعْ فغوى الشَّرابِ وَ ما حَلبْ(9)

لذلك فهو يتعجّب من الذي لا يهتدي من هذا النّور:

تَرَكْتَ مِصْباحَ عقلٍ ما اهتديْتَ بِهِ واللهُ أعطاكَ من نورِ الحجى قَبسا(10)

ويكاد في كثير من الأحيان ينْفي أدوات المعرفة الأخرى التي ذكرناها قبلاً، وذكرها هو في معرض حديثه عن طرق تحصيل المعرفة، ويعتمد العقل وَحْدهُ مصدرًا مؤكّدًا للمعرفة حتى إذا رحل عن الدّنيا، يتركها وقد اعتمد في حياته على عقله لا غيره:

وَكَمْ غرّتِ الدُّنيا بنيهَا وَساءَني مع النّاس مَيْنٌ في الأحاديثِ وَ النّقْلِ
سَأتّبعُ من يدْعو إلى الخَيْرِ جاهدًا وأرحلُ عنها ما إمامي سِوَى عقْلي(11)

ذلك أنّ اتّباع العقل عند المعرّي، معناه أن يَحيى الإنسان في نور دائم، فهو كالشّمس التي تضيء ليْله:

وإنّكَ إنْ تسْتعملْ العقْلَ لا يَزلْ مَبيتُكَ في لَيْلٍ بعقْلكَ مُشْمِسُ(12)

و يمجّد أبو العلاء العقل في شِعْره تمجيدًا يجعلنا نعدّه عقلانيًّا قبل ظهور العقلانيّة كمذهبٍ يدعو إلى تغْليب سلطة العقل على ما سواها، فهو يعتبره بمثابة النبيّ بالنّسبة إلى صاحبه:

أيّها الغِرُّ إنْ خُصِصْت بعَقْلٍ فاسأَلَنْهُ، فَكُلُّ عَقْلٍ نَبِيُّ(13)

و على هذا الأساس، وانطلاقًا من أنّ نبيّه هو عقله، ينبغي أن يكون الوصيّ على نفسه:

وَ مالي لا أكونُ وَصِيَّ نفْسي و لا تعْصي أُموري الأوْصِياءُ
وَ قدْ فتَّشْتُ عنْ أصْحابِ دِينٍ لَهُمْ نُسكٌ وليْس لَهُمْ رياءُ
فألفيْتُ البهائمَ لا عقولٌ تُقيمُ لها الدّليلَ وَ لا ضياءُ(14)

أفلا يحقّ لأبي العلاء وَ من كان مثله ذا جرأة متناهية في قوله الحقّ، أن يصرخَ في وجْه مشوّهي الدّين صرخته المعروفة، وأن يشكّ حتّى في الدّين نفسه؟ إنّها سورة غضب وتنفيس كربة لا أكثر وَ لا أقل من مؤمن عقلانيّ، يريد أن يفهم الدّين كما يراه هو، لا كما يراه هؤلاء، وأن يرى الله بعقله وَ ببصيرته لا بالتّقليد أو بالتّرديد (15) .فهو يثقُ بالعقل ثقة بعيدة، ويرى فيه الطّريق الصّحيح للوصول إلى المعرفة الحقّة، و يؤكّد لنا هذا في قوله:

إذا تفَكَّرْت فِكْراً لا يمازِجُهُ فَسادُ عَقْلٍ صحيحٍ هانَ ما صَعُبا
فاللّبُّ إن صحَّ أعْطى النّفسَ فترتَها حتّى تَموتَ وَ سمّى جِدّها لَعِبا(16)

وخلاصة الكلام في هذا المبحث نقول : إنّ تأكيد المعرّي على إمامة العقل و نبوّته، فيه نقد لإنسان عصره الذي تخلّى عن ممكّنات العقل و أحلّ محلّها التّسْليم و الخضوع بعنوان قدسيّة العبادة والقضاء والقدر.

ثانيا: المعرّي بيْن العقْل والنّقْل / بيْن تقْديس الماضي وَ تجاهُلِهِ:

يَنْزع أبو العلاء في تفكيره نزْعة الفلاسفة الذين يعتمدون على العقل، ولا يقبلون إلاّ ما يُثْبته و يَقْبله و يؤيّده بالدّليل والبرهان، ولقد أخضع النّقْل إلى حكم العقْل، والصّفة السّائدة في لزوميّاته هي تأمّلاته الفلسفيّة، فكان دومًا معنيًّا في تقصّي الحقائق، فعالج مشكلات فلسفيّة عديدة، وآمن بما اعْتقده صحيحًا بغضّ النّظر فيما إذا كان مصيبًا في النّتائج التي توصّل إليها أم غير مصيب، وحسْبُه أن يكون مخلصًا في اندفاعه الفكريّ و مستهدفًا الخير والصّلاح(17) . ففي تفضيله العقل و رفضه النّقل نجده يقول:

أَتاني بإسْنادهِ مُخْبرٌ وقدْ بانَ لي كَذِبُ النّاقلِ
أذو العِصْمةِ العاقلُ الآ دميّ إلاّ كذي العُصمةِ العاقلِ(18)

ويؤكّد هذا الموقف في قوله:

فلا تَقْبَلَنْ ما يُخبرونَكَ ضَلَّةً إذا لمْ يؤيّدْ ما أتوْكَ به العَقْلُ(19)

و يتابع تأكيده على صحّة العقل و وُجوب اتّباعه، حيث أنّ إقرار العقل للخبر هو مصدر صدْقه الوحيد:

فشاوِرْ العقلَ واترُكْ غَيرُه هدَراً فالعقلُ خيرُ مشيرٍ ضمَّه النّادي(20)

فالعقل" هو الهادي الوحيد لمعرفة الخير والشّرّ و الحقّ و الباطل و المقدّس و المدنّس، و لا حاجة إلى ما سواه. لذلك فمشاورة العقل هي التي تهدي النّاس إلى الحقّ :

وقِسْ بما كان أمراً لم يكنْ تَرَهُ فالرّجلُ تعرِفُ بعضَ الموتِ بالخَدَرِ
على خبيئكَ أستارٌ مضاعفةٌ بالعقْلِ والصَّمْتِ والأبوابِ وَ الجُدرِ(21)

و العقل إن كان صادقًا يشبه الشّجرة التي تجودُ على صاحبها بأطيب الثّمار:

أمّا العقولُ فآلتْ أنّهُ كذِب وَ العقْلُ غَرْسٌ لَهُ بالصِّدْقِ أثْمار(22)

و تأسيسًا لهذا الموقف جعل صاحبنا النّقل في المرتبة الثّانية بعد العقْل، وقال في النّقل الذي يطلق عليه الحديث:

جاءتْ أحاديثُ إنْ صحَّتْ فإنّ لها شأْنًا، ولكنَّ فيها ضعْفَ إسْنادِ

ثالثًا: الإبستيمولوجيا العلائيّة بين جدليّة الشّكّ و اليَقين:

يجرّنا هذا العنوان إلى سؤال مفاده: هل يعتبر إيمان المعرّي بالعقل قطعيًّا؟ و الجواب: إنّ إيمانه بالعقل ليس إيمانًا قطعيًّا، مع أنّه كان يشهد له بمكانته السّامية، لكنّه في نفس الوقت شكّ في القدرات النّهائيّة لهذا العقل في التّوصّل إلى أمور الغيْب والميتافيزيقا؛ التي ينْبغي ألاّ تدخل في دائرة العقْل، وينْبغي فيها التّسليم بالوجدان، فالعقْل يخضع أيضًا للعمليّة الجدليّة، ونجد هذا في قول شاعرنا:

وَ يعْتَري النّفس إنكارٌ وَ مَعْرفةٌ وَ كُلُّ معنىً لهُ نَفْيٌ وَ إيجابُ(23)

فالنّشاط المعرفيّ لالتماس حقائق الوجود ليس فعلاً يحدث مرّة فيغلق التّفكير، وإنّما هو سيْرورة جدليّة تتعاقب فيها المعرفة والإنكار، ويتبادلان الأمكنة والأدوار، بحيث يقترح العقل الفكرة، وقبل أن تجد موْضعها في التّراث المعرفيّ يظهر نقيضُها من العقل نفسه.

وعلى الرّغم من إيمان المعرّي بالعقل و التمسّك بقدرته إلاّ أنه يدرك أنّ العقل مقيّد ممنوع عن إدراك الحقّ والوصول إلى الحقيقة المطلقة والعمل بها وذلك لصراعه وتضادّه مع النّفس وشهواتها؛ لأنّ مأساة العقل أنّه في جسد و أنّه في مُهْجة يُخالطها الهوى فتغْلبه الغريزة (24). يقول:

وَ أشْعُرُ أنّ العقْلَ يَصْحبُ تارةً وَ يَنْفرُ أُخْرى وَهوَ غَيْرُ عَليم(25)

ومن هنا فإنّ إختلاف الإنكار وَ المعرفة على النّفس ليس له مصْدر إلاّ تأثّرها بالحياة المادّية:

إنّما نحْنُ في ضلالٍ وتعْليلٍ فإنْ كُنْتَ ذا يقينٍ فهاتهْ
ولحبِّ الصّحيحِ آثرت الرّو مُ انْتسابَ الفَتى إلى أمّهاتهْ(26)

إذن: فالحُكْم عنده مستيْقن و مشكوك فيه:

ولقدْ حفرْتُ عنِ اليقينِ بخاطرٍ ما كادَ يبلُغُ حفرُهُ الانباطا(27)

لكنّ حركة الفكْر مِنَ المعرفة إلى الإنكار و مِنَ الإنكار إلى المعرفة، ليست عقليّة خالصة، فالفكرة تكْتسب صِدْقها النّسبي من خلال الخِبْرة الحسّية، وحوارها مع الإرْث الذي اختزنه العقل:

إذا قُرنَ الظَّنُّ المصيبُ مِنَ الفتى بتَجْرِبةٍ جاءا بِعِلْمِ غُيوب(28)

ويعبّر هذا البيت عن وحدة النظريّة والتّجربة، و الفكر، والممارسة، وفيه يلخّص المعرّي ما يمكن أن نعدّه نظريّة في المعرفة، يسبق بها (فرنسيس بيكون)*، والمناهج المعرفيّة الحديثة(29)، يقول صاحبنا:

كذبَ الظّنُّ لا إمامَ سِوى العَقْ لِ مُشيرًا في صُبْحِهِ وَ المساءِ
فَإذا ما أطَعْتَهُ جَلَبَ الرّحـ ـمة عند المسيرِ وَ الإرساء(30)

والظنّ هو " التّخمين الذي لا يستند إلى شواهد حسّية أكيدة، أو حجج عقليّة قويّة، وقد يقارب الظنّ الوَهْمَ المتولّد من معرفة مزيّفة، وليس سوى العقل وأدواته المنطقيّة، مشيرًا في كلّ ما يتّخذه المرء من مواقف، وهو السّبيل إلى النّجاة من المخاطر و الأشراك التي تعترض مسار حياته" (31).

ممّا سبق نستنتج نقاطًا تخصّ الإبستيمولوجيا عند المعرّي:

- إيمانه بالعقل هو الأصل الأوّل من أصول المعرفة، واللّزوميات خير دليل على ذلك.
- رأيه في الحسّ والخبرة وقياسهما بالعقل: فالحسّ يكذب أحيانًا، فيعرض الأمر على العقل(32).
- لا يرفض الأخذ بما يتوافق مع العقل، فالخبر الصّادق جدير بالاحترام ، كما يتجلّى في قوله:

إذا رَجَعَ الحَصيفُ إلى حجاهِ تَهاونَ بالمذاهبِ وَ ازْدَراها
فَخُذْ مِنْها بما أدّاهُ لُبٌّ وَ لا يَغمسْكَ جهلٌ في صراها
وهَتْ أدْيانهم منْ كلِّ وجْهٍ فهلْ عقلٌ يَشدُّ به عُراها(33)

- إنّ المعرّي حينما دعا إلى العقْل كان يقصد كشْف النّسق وَ تصْفيته ممّا يَشوبُه، من زيْفٍ، وَ خداعٍ ضمْن حدود قدرته و قابليّته على الكشْف؛ لذا حين يقول بنقْص العقل الإنسانيّ، و قُصوره في كشْف أسرار الكوْن، لا يعني أنّه وقع في التّناقض، فهو حين يقول:

وَ قَدْ أعْملَ النّاسُ أَفْكارَهُم فَلَمْ يُغنِهِمْ طولُ إعْمالها(34)

إنّما يقْصد نفْي اليقين في معرفة الأمور الغيبيّة، وأنّ أقصى اجتهاده الظنّ والحدْس:

أمّا اليقينُ فلا يقينَ وإنّما أقْصى اجْتهادي أنْ أظنَّ وأحْدِسا(35)

لعلّ أعظم سَبْقٍ للمعرّي تمثّلَ في تأكيد منهج الشكّ كقيمة في العقل، وكإنجاز في المعرفة لأنّ الشكّ هو استحْضار لدور العقل وهو نبْشٌ في الذّاكرة الجماعيّة، بل هو ثوْرة عليها و نفْيٌ لقداستها المكتسبة من الماضي، وهو رفْضٌ لكلّ جواب قَبْلَ التثبّت الذي يفرض سُلْطان العقل في الحاضر عَبْرَ الوعْي بالزّمن في نَسَقِ المعرفة، ويبدو أنّ منْهج الشّكّ الذي أقرّه كان من ثِمار المحاولات المبكّرة التي تهْدف إلى العقْلنة أو مُحاولة التّوفيق بين المنْقول و المعْقول.

" فالمعرّي طوّر مسألة الشكّ لتكون علامة معرفيّة تعْمل في كلّ مجالٍ سواء في الموروث أو في قراءة الواقع و رفْض ما يمكن أن يَعْلقَ بالعقليّة الجماعيّة ونِتاجها الثّقافيّ؛ من خرافات وأساطير تُغالط العقل أو تناقضه، و لذلك كان فكر المعرّي في هذا المجال انتقالًا من موقع بيانيٍّ شكليٍّ إلى موقع بُرهانيٍّ عميقٍ، لأنّه يخرج العقل من إعاقته ويجعله على حافّة سؤال متكرّر بعد طول الاستقرار و الرّكون في الجواب" (36)، لأن الشكّ هومنهج العقل المنتج للمعرفة، لذلك نزّله منزلة رفيعة، وأوْلاه مكانة خاصّة.

خاتمة:

بعد هذه الإطلالة المختزلة على فِكْر أبي العلاء المعرّي و تتبّع خطاباته الشّعرية - ذات النّزعة العقليّة- بالدّراسة و التّحليل؛ توصّل البحث إلى النّتائج الآتية:

- إنّ محاولة المعرّي إثْبات مكانة العقْل و تأْسيسِه؛ ليست الأولى من نوعها حيث سبقه إليها ثُلّة من الفلاسفة والأدباء.
- سعى حكيم المعرّة إلى ربْط الوجود الإنسانيّ بالفكْر و العقْل في كلّ مجالات المعرفة حتّى في الجانب العقديّ و كذلك المعاملاتيّ بين الأفراد؛ **محاولاً الوصول إلى اليقين و لكنّه في بعض الأحيان — وهنا يكمن** الخلل — يريد أن يؤمن بعقله كما آمن بشعوره، والعقل لا يصلح لإدراك الغيبيّات.
- لا قيمة للعقل عند المعرّي إن لم يرتبط بقضايا حياتيّة و غايات إصلاحيّة ، لذلك كانت دعوة إعمال العقل في خطاباته ساخطة و متبرّمة من الحياة لإتّصالها بمسؤوليّة المفكّر المُصْلح.
- كانت نزعة العقل عنده نزعة وجود و مصير و دفاع عن الذّات الإنسانيّة ضدّ عوامل الاستلاب و ما آلتْ إليه الظّروف في عصره.
- ينزع أبو العلاء في تفكيره نزعة الفلاسفة الذين يعتمدون على العقل، ولا يقبلون إلاّ ما يثبته و يؤيّده الدّليل و البرهان، و نستطيع القول: بأنّه قدّسه و لكن لم يسلّم به.
- إنّ المعرّي شاعر انفعاليّ له عقل كلّي النّظرة، شامل في ما يحيط به، له نصيب من الفكر الفلسفيّ المؤثّر و المتأثّر بمزاجه وحسّه وحدْسه، صادر عن ألمٍ متدفّقٍ و هيجانٍ نفسيّ عارم،فجاء تفكيره موافقًا لحالته النّفسيّة.
- أمّا على المستوى الفنّي فقد كان خطابه الشّعريّ امتطاءً جديدًا لم يُسبق إليه؛ وذلك بإخراجه الشّعر من مجاله الوجدانيّ إلى العقليّ.

الإحالات

(1): يُنظر: سناء خضر،النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعرّي بين الفلسفة والدّين،دار الوفاء،مصر،ط1999،1م ، ص 157.

(2):سناء خضر، م ن، ص157.

(3): أبو العلاء المعرّي،الفصول والغايات،ضبطه وفسّر غريبه:محمود حسن زناتي،دار الآفاق الجديدة،لبنان،دط،1938م ، ص68.

(4): أبو العلاء المعرّي اللّزوميات، تح: أمين عبد العزيز الخانجي،مكتبة الخانجي،القاهرة،دط، د ت ، ج2، ص28.

(5):أبو العلاء المعرّي،الفصول والغايات،م س، ص68.

(6): يُنظر: محمد الجابلّي، العقل والذاكرة منزع العقل في التراث القديم من ابن المقفع إلى أبي العلاء، سلسلة فكرنا المعاصر، منشورات سعيدان، سوسة، دط، دت.ص86.

(7): يُنظر: عبد اللطيف محرز، أبو العلاء المعري وكبرياء العقل الانساني،ط2009،1م،ص 48.

(8):أبو العلاء المعرّي،اللّزوميات، ج1، ص200.

(9):نفسه، ج1، 142.

(10):نفسه، ج2، ص30.

(11):نفسه، ج2، ص219.

(12): نفسه ، ج2، ص12.

(13): نفسه، ج2، ص439.

(14):نفسه، ج1، ص42.

(15): يُنظر: خليل شرف الدين،أبو العلاء المعرّي مبصر بين عميان،دار مكتبة الهلال،لبنان،دط،1985م ،ص 104.

(16): أبو العلاء المعرّي،اللّزوميات، ج1، ص95.

(17): يُنظر: عطا بكري، الفكر الدّيني عند أبي العلاء المعري، دار مكتبة الحياة، لبنان،دط،1980م ،ص133.

(18):أبو العلاء المعرّي، اللّزوميات، ج2، ص254. **العصمة**:الإمتناع **والعُصمة**: بياض في أيدي الوعول. **العاقل الثانية**: من عقل إذا صعد فيه الجبل.

(19):نفسه، ج2، ص177.

(20):نفسه، ج1، ص275.

(21):نفسه، ج1، ص383.

(22):نفسه، ج1، ص313.

(23):نفسه، ج1، ص78.

(24): يُنظر: علي عبد الإمام الأسدي، الثنائيات الضدية في شعر أبي العلاء المعري،دار تموز للنشر،دمشق،ط1،2013م ص 76

(25): أبو العلاء المعرّي، اللّزوميات، ج2، ص308.

(26):نفسه، ج1، ص184.

(27):نفسه، ج2، ص75.

(28):نفسه، ج1، ص119.

:**فرنسيس بيكون(1561-1626م)**: مؤسس العلم التجريبي، دعا ألى تطهير العقل من أوثانه، وهي الأحكام المبتسرة والمفاهيم * المسبقة التي تمنع المرء من انتهاج المسلك العلمي الصحيح في المعرفة.

(29) يُنظر: كمال القنطار،فكر المعري، دار الفارابي، بيروت،لبنان،ط1،2014، ص 264-265.

(30): أبو العلاء المعرّي، اللّزوميات ، ج1، ص55.

(31):كمال القنطار، م س ، ص263.

(32): يُنظر:سناء خضر، م س، ص158.

(33): أبو العلاء المعرّي، اللّزوميات ، ج2، ص427. **الصرى**: ما اجتمع من الماء واللّبن مخلطا.

(34):نفسه، ج2، ص422.

(35):نفسه، ج2، ص31.

(36): محمد الجابلّي، م س، ص60.